الفصل الأول

التوجيه والإرشاد

نشأة التوجيه والإرشاد:

مقدمة :

لم يكن التوجيه والإرشاد بمنأى عن الممارسة منذ أقدم العصور. فالآباء والمعلمون –على سبيل المثال– كانوا يسعون –دائماً– إلى مساعدة أبنائهم وطلابهم على المحافظة على سلامتهم الجسمية وعلى صحتهم النفسية، وعلى سلامة نضجهم ودعم إمكاناتهم. إلا أن هذه المساعدة كانت تأخذ –في الغالب– شكل التوجيه فقط، دون الدخول في علاقة تفاعلية بين الموجه والفرد المحتاج إلى توجيه. ويتبين من الملاحظة والتجربة أن التوجيه غير كافٍ لمساعدة الفرد في تحقيق ذاته، مما زاد من الحاجة إلى عملية الإرشاد النفسي التي تتضمن العلاقة وجهاً لوجه بين المرشد والمسترشد.

ومع بداية القرن العشرين تغير المفهوم. فبدأ التوجيه والإرشاد التربوي بمرحلة التوجيه المهني ثم التوجيه المدرسي، حيث امتدت برامج التوجيه والإرشاد لتشمل المجالات التربوية، ثم ظهرت مرحلة علم النفس الإرشادي، والذي يركز على الصحة النفسية والنمو النفسي.

وفي عام (1970) أصبح يُنظر إلى التوجيه والإرشاد النفسي على أنه عملية اتخاذ القرار بهدف التقليل من قلق الطلاب. ثم تطور المفهوم بعد ذلك، وأصبحت الاتجاهات نحو برامج التوجيه والإرشاد النفسي أكثر إيجابية، وأخذ مكانته كعلم معترف به.

والتوجيه والإرشاد التربوي عبارة عن علاقة مهنية تتجلى في المساعدة المقدمة من فرد إلى آخر؛ الأول فرد يحتاج إلى المساعدة ويسمى المسترشد، والآخر فرد يملك القدرة على تقديم تلك المساعدة ويسمى المرشد. وهذه المساعدة تتم وفق عملية تخصصية، تقوم على أسس وتنظيمات وفنيات، تتيح الفرصة أمام الطالب لفهم نفسه وإدراك قدراته بشكل يمنحه التوافق والصحة النفسية، ويدفعه إلى مزيد من النمو والإنتاجية. وتُبنى هذه العلاقة المهنية – علاقة الوجه للوجه بين المرشد والمسترشد – في مكان خاص يضمن سرية أحاديث المسترشد. والإرشاد عملية وقائية ونمائية وعلاجية، تتطلب تخصصاً، وإعداداً، وكفاءة، ومهارة، وسمات خاصة، تعين المسترشد على التعلم، وعلى اتخاذ القرارات، وعلى الثقة بالنفس، وعلى تنمية الدافعية نحو الإنجاز.

ويهدف التوجيه والإرشاد التربوي إلى تحقيق النمو الشامل للطالب. ولا يقتصر ذلك على مساعدته في ضوء قدراته وميوله في المحيط المدرسي فحسب؛ بل يتعدى ذلك إلى حل مشكلاته، وتوثيق العلاقة بين البيت والمدرسة، وتغيير سلوك الطالب إلى الأفضل تحت مظلة الإرشاد النفسي. وهذا بدوره يقود إلى تحقيق هدف العملية التربوية الأسمى وهو تحسين تعلم الطالب.

لقد أصبح إنسان هذا العصر في حاجة ماسة إلى التوجيه والإرشاد، أياً كان موقع هذا الإنسان وعمره، وذلك بحكم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية والتقنية المتسارعة.

إن التغيرات النمائية في مراحل النمو العمرية المختلفة، والتغيرات الأسرية والمجتمعية، وتعدد مصادر المعرفة والتخصصات العلمية، وتطور مفهوم التعليم ومناهجه، وتزايد أعداد الطلبة، ومشكلات الزواج والتفكك الأسري، والتقدم الاقتصادي وما صاحب ذلك من قلق وتوتر، كل ذلك أدى إلى بروز الحاجة إلى التوجيه والإرشاد، كما إن هذا التغير في بعض الأفكار والاتجاهات أظهر أهمية التوجيه والإرشاد في المدرسة على وجه الخصوص، حيث لم يعد المعلم قادراً على مواجهة هذا الكم من الأعباء والتغيرات. كما أن تغير الأدوار والمجتمعات، وما ينتج عن ذلك من صراعات وتوترات، يؤكد مدى الحاجة إلى برامج التوجيه والإرشاد .

ويتركز اهتمام التوجيه والإرشاد التربوي على حاجات المتعلم من مختلف نواحي شخصيته: العقلية، والجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والسلوكية. إضافة إلى عملية التحصيل الدراسي، ورعاية المتأخرين دراسياً والمتفوقين والمبدعين.

وتظهر هنا أهمية دور المرشد التربوي؛ بصفته الشخص الذي يتولى القيام بمهام التوجيه والإرشاد في المدرسة. لذا يجب أن يكون متخصصاً، وذا كفاءة ومهارة في تعامله مع المسترشدين من الطلبة. وهكذا تبدو مهنة المرشد التربوي مهنة صدق وأمانة، وصبر ومشقة، لكنها تصبح مجالاً خصباً للأجر والمثوبة من عند الله سبحانه وتعالى إذا ما أخلصت النية، وتوجت بالإخلاص في التنفيذ والممارسة. أي: إنها ليست مهنة فضفاضة تتسع لمن طرق بابها ليخلد للراحة، وليست فراراً من العمل إلى الكسل، إنها أمانة قبل كل شيء، ثم مسؤولية كبيرة أمام جميع الفئات داخل المدرسة وخارجها.

إن مهنة الإرشاد اليوم لم تعد تسمح بالتهافت عليها دون تخصص علمي، إنها أشبه بغرفة العمليات الجراحية لا تقبل ولا تغفر الأخطاء، وهكذا فان التوجيه والإرشاد التربوي علم ومهارة وفن وخبرة وأمانة. إن الحاجة إلى التوجيه والإرشاد قديمة قدم التعلم والتعليم، فقد قدّم المعلمون على مر الزمن الخدمات التوجيهية والإرشادية إلى تلاميذهم دون تسميتها بهذا الاسم، ودون أن تأتي تلك الخدمات في إطار برنامج منظم يستند إلى أسس ونظريات وطرق محددة. ولكن هذه الخدمات أصبحت تقدَّم اليوم ضمن برامج منظمة ومؤطرة علمياً وعملياً، بحيث باتت مكوناً أساسياً من مكونات المدرسة الحديثة. وفي الوقت الحاضر، يتزايد الاهتمام يوماً بعد يوم ببرامج التوجيه والإرشاد المدرسية، وتتضافر الجهود لتقديم مزيد من الدعم والمساندة لهذه البرامج.

مفهوم التوجيه والإرشاد:

يمكن تعريف الإرشاد والتوجيه على أنه "عملية تعلمية تساعد الفرد على أن يفهم نفسه بالتعرف على الجوانب الكلية لشخصيته، حتى يتمكن من اتخاذ قراراته بنفسه، وحل مشكلاته بموضوعية مجردة؛ مما يسهم في نموه الشخصي وتطوره الاجتماعي والتربوي والمهني. ويتم ذلك خلال علاقة إنسانية بينه وبين المرشد النفسي الذي يتولى دفع العملية الإرشادية نحو تحقيق الغاية منها بخبراته المهنية" (عمر، 1989).

ولكن الملاحظ أن هناك قصوراً واضحاً في إدراك العاملين في المجال التربوي لمفهوم الإرشاد والتوجيه، حيث أنهم يربطون مفهوم التوجيه والإرشاد فقط بالإرشاد النفسي، وبالمشكلات السلوكية غير السوية؛ من مثل الاضطرابات النفسية والسلوك العدواني، بالرغم من أن عملية التوجيه والإرشاد في الحقيقة هي عملية شمولية تهدف إلى:

1. مساعدة الطالب على اكتشاف ذاته عن طريق إدراكه لمدى قدراته واستعداداته وميوله ومهاراته، وفهم المشكلات التي تواجهه مهما يكن نوعها.
2. إعانة الطالب على فهم بيئته المادية والاجتماعية (المدرسية والأسرية)، بما فيها من إمكانات ونقص، والاستفادة من إمكاناته الذاتية والإمكانات المتاحة له في بيئته المدرسية، وفي أسرته، وفي المجتمع المحلي لتحديد أهداف واقعية له في تحصيله الدراسي، وفي الحياة، وللتخطيط السليم لتحقيق هذه الأهداف.
3. الإسهام في مساعدة الطالب على التكيف مع نفسه ومع أقرانه ومجتمعه، وبما يحقق له التفاعل السليم مع بيئته، والنمو بشخصيته إلى أقصى حد تؤهله له إمكاناته وإمكانات بيئته.

والفارق دقيق ما بين مفهومي التوجيه والإرشاد. ففي حين يشير التوجيه كمفهوم إلى برنامج متكامل من الخدمات التي تقدم للطلبة المسترشدين، بغرض معاونتهم على مساعدة أنفسهم، واختيار الحلول التي تلائمهم للمشكلات التي يواجهونها، والاضطلاع بمسؤولية قراراتهم الشخصية. ويمكن تعريف مفهوم الإرشاد من خلال الخدمات التي يقدمها، والتي تستهدف مساعدة الطلبة المسترشدين على اكتساب أو تعديل المهارات الشخصية الاجتماعية، وتحسين التوافق لمطالب الحياة المتغيرة، وتعزيز مهارات التفاعل بنجاح مع البيئة، واكتساب

الكثير من الكفايات لحل المشكلات واتخاذ القرارات، وعليه فإن الإرشاد هو عملية مشاركة ومعاونة مباشرة ومتبادلة بين شخصين أو أكثر، يساعد فيها أحد الطرفين الآخر على زيادة فهمه لمشكلاته، ورفع قدرته على حلها ونورد فيما يلي مزيداً من التفاصيل حول مفهوم كل من التوجيه والإرشاد.

أولاً: التوجيه:

يقصد بالتوجيه مجموع الخدمات التربوية والنفسية والمهنية التي تقدم للفرد ليتمكن من التخطيط لمستقبل حياته وفقاً لإمكاناته وقدراته العقلية والجسمية وميوله، وذلك بأسلوب يشبع حاجاته وميوله، ويحقق تصوره لذاته. ويتضمن التوجيه بهذا المعنى ميادين متعددة كالتعليم والحياة الأسرية والشخصية والمهنية، كما يشتمل -أيضاً- على خدمات متعددة كتقديم المعلومات أو الخدمات الإرشادية والتوافق المهني. وقد يكون التوجيه مباشراً أو غير مباشر، فردياً أو جماعياً. وهو عادة يهدف إلى الحاضر والمستقبل مستفيداً من الماضي وخبراته .

وفيما يلي نورد بعض التعريفات الخاصة بالتوجيه:

عرف (مايرز) التوجيه أنه العملية التي تهتم بالتوفيق بين الفرد بما له من خصائص مميزة من ناحية، والفرص الدراسية المختلفة والمطالب المتباينة من ناحية أخرى، والتي تهتم -أيضاً- بتوفير المجال الذي يؤدي إلى نمو الفرد وتربيته.

في حين عرفه (بريور) أنه المجهود المقصود الذي يبذل في سبيل نمو الفرد من الناحية العقلية، وان كل ما يرتبط بالتدريس أو التعليم يمكن أن يوضع تحت التوجيه التربوي. ويرى (بريور) أن هناك فرقاً بين عبارة "التربية كتوجيه "، وبين عبارة "التوجيه التربوي "، فهو يقصد بالأولى ضرورة توجيه الطلبة بالمدارس في جميع نواحي نشاطهم، ويقصد بالثانية ناحية محدودة من التوجيه تهتم بنجاح الطالب في حياته الدراسية.

وأخيراً عرف (ميلر) التوجيه التربوي، أنه عملية تقديم المساعدة للأفراد لكي يصلوا إلى فهم أنفسهم، واختيار الطريق الصحيح والضروري للحياة، وتعديل السلوك لغرض الوصول إلى الأهداف الناضجة والذكية، والتي تصحح مجرى الحياة.

ومن خلال التعريفات السابقة نرى جميعها اشترك بالنقاط الآتية :

1. التوجيه عملية تتم بين طرفين، أحدهما يمتلك الخبرة والمعرفة والسلطة، والآخر لديه حاجة إلى المساعدة.
2. التوجيه عملية يستطيع أن يقوم بها الوالدان أو الأقرباء، أو الأصدقاء، أو المعلمون، أو مدير المدرسة.
3. التوجيه عملية ممكنة وضرورية في أي شأن من شؤون الحياة، من مثل: الزواج، والانتقال من مسكن لآخر أو من مدرسة لأخرى، أو الشؤون الدينية، أو السياسية، أو التربوية، أو النفسية، أو المهنية.
4. يساعد التوجيه الفرد على فهم بيئته المادية والاجتماعية، وتحديد ما فيها من إمكانات.
5. يساعد التوجيه الفرد على أن ينمو بشخصيته إلى أقصى حد تؤهله له إمكاناته.

ثانياً: الإرشاد:

يمكن تعريف الإرشاد أنه عملية فنية متخصصة مستمرة، وتقوم على علاقة مهنية بين المسترشد Client الذي يواجه مشكلات أو صعوبات مختلفة، والمرشد Counselor القادر بحكم خبرته الفنية على تقديم المساعدة للمسترشد ليفهم نفسه والعالم من حوله، ولأن يفهم دوافعه وميوله وقدراته وحاجاته المختلفة، ويتخذ قراراته.

فالإرشاد عملية وقائية ونمائية وعلاجية تتطلب تخصصاً وإعداداً وكفاءة ومهارة، كون هذه العملية فرعاً من فروع علم النفس التطبيقي. وتُجمَل خدمات التوجيه العامة وخدمات الإرشاد الخاصة عادة في مفهوم واحد وهو التوجيه والإرشاد.

ومن التعريفات الهامة للإرشاد، تعريف جود (Good): حيث يرى أن الإرشاد تلك المعاونة القائمة على أساس فردي وشخصي فيما يتعلق بالمشكلات الشخصية، والتعليمية، والمهنية، والتي تدرس فيها جميع الحقائق المتعلقة بهذه المشكلات، ويبحث عن حلول لها، وذلك بمساعدة المتخصصين، وبالاستفادة من إمكانات المدرسة والمجتمع، ومن خلال المقابلات الإرشادية التي يتعلم المسترشد فيها أن يتخذ قراراته الشخصية.

كما عرف تولبيرت (Tolbert): الإرشاد علاقة شخصية وجهاً لوجه بين شخصين، أولهما: